تشظي الهوية في الرواية النسوية العربية "الحفيدة الأمريكية" لإنعام كجه جي أنموذجا

Identity Fragmentation in the ArabFeministNovel" The AmericanGranddaugther " by AnamKagaji as a model

أمال قيرواني1

تاريخ الإرسال: 2021/01/23	تاريخ القبول: 28 / 02 / 2021	تاريخ النشر: 30 / 06 / 2021

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في موضوع تشظي الهوية في الرواية النسوية ، وتتّخذ من رواية " الحفيدة الأمريكية " لإنعام كجه جي موضوعا للتطبيق، وهذا من خلال الوقوف على مفهوم الهوية وتمظهرات تشظّيها في المتن الروائي .

الكلمات المفتاحية: الهوية، الرواية النسوية، إنعام كاجه جي، الحفيدة الأمريكية.

Abstract:

This study examines the issue of identifityfragmentaion in the feministnovel , and takes the novel" The American Granddaughter " by AnamKagaji as a subject of application, and thisis by examining the concept of identity and its fragmentation in the narrative text

Key words:Identity,FeministNovel, InamKagaji, American Granddaughter

المؤلف المرسل: أمال قيرواني kirouani1303@gmail.com

1قسم اللغة العربية وآدابها جامعة البليدة 02 kirouani1303@gmail.com

1 . توطئة

لقد مارست الرواية كجنس حديث إغراء كبيرا على الكتاب، وألقت شباكها بإحكام على المرأة المبدعة لمبررات عدّة، أهمها حداثة هذا الجنس التي جعلت منه مطواعا، كما أنّ وضع مرتكزاته لم يكن حكرا على الرجل فقد شاركته في سن القوانين، إضافة إلى أنّ المرأة تمارس الحكي وتتقنه منذ القدم، ابتداء بقصص الجدات إلى شهرزاد التي أيقنت انّ صوت سردها هو طوق النجاة لها ولبنات جنسها، إضافة إلى ما تمنحه الرواية من مساحة تستطيع المبدعة من خلالها البوح والتعبير دون قيود.

ممارسة المرأة للكتابة الروائية مرّت بمراحل عدّة اتهمت في بداياتها بالضعف والذاتية، واختراق حدود الحشمة والحياء، لكنّها بعد ثورة وتمرّد . قد يكون لهما مبررات اجتماعية وتاريخية . هدأت ونضجت كتاباتها خاصّة في العقدين الأخيرين، حيث شهدت الكتابة النسوية في البلدان العربية تراكما نوعيا وكميّا أهلها لأن تمتلك هويّة خاصّة تشي بالتميّز والخصوصية والاختلاف، خاصّة بعد خوضها غمار مواضيع شائكة سياسية ودينية واجتماعية .. تعبّر عن عمق وعيها بما يدور حولها .

تأتي هذه الدراسة لتؤكّد نضج هذا النوع من الكتابة فهي تطرح قضيّة سياسية بعيون نسوية، فالكاتبة إنعام كجه جي تلمّست مفهوم الهوية عند المهاجرين العراقيين الذين اختاروا أمريكا البلد المستعمر وطنابديلا للبحث عن السلام والأمان، حفرت الكاتبة في ذاكرة (زينة) بطلت روايتها (الحفيدة الأمريكية) لتبحث عن مفهوم الانتماء في ظل معطيات ومعايير جديدة قد لا تعتبر مسقط الرأس وكل معايير الهوية كافية في عالم أصبح قرية واحدة، في ظل ظهور فيه مصطلحات عديدة منها (المواطن العالمي) الذي لا تحدّه حدود الواقع . تترك الكاتبة كامل الحرية لبطلتها التي تشرح لنا مفهوم الهوية، وتُعبّر عن المفاهيم الجديدة للوطن والمواطنة والانتماء عند جيل المهاجرين، وقبل الخوض في الرؤية التي ترسمها الكاتبة لتشظي الهوية في روايتها نقف عند مفهوم الهوية وصور تشظيها .

2 . مفهوم الهوية

يُعتبر مصطلح الهوية من المصطلحات الزئبقية التي يصعب القبض على ماهيتهبسبب ما يعتريه من تغيّر في المعايير، وفق ما يتطلبه العصر، وقد نال الحظّ

الوافر من الدراسة في مختلف العلوم السياسية والاجتماعية والفلسفية والنفسية، وغيرها لتشابك جذوره المعرفية. لينتقل إلى هذا المصطلح عالم النقد والأدب حديثا لكثرة تناول موضوع الهوية وأزماتها في المنجز الأدبي والروائي منه على وجه الخصوص .

2 . 1 . لغة :

يتفق العديد من الباحثين على أنّ هذا المصطلح طارئ على اللغة العربية، حيث اشتقه المترجمون من الضمير (هو) الذي يدل على الكينونة والوجود، أمّا في معاجمنا العربية فنجد أنّ مادة (هـ . و . ى) لها دلالات عدّة « كالهوّة البئر أو الحفرة . والهوى العشق، وهوى النفس إرادتها »[1]

فمن الناحية اللغوية نجد أن المعاني تتمحور حول الأعماق، و ما تأصل في النفس البشرية، وقد يتقاطع هذا المعنى اللغوي مع جزء من دلالته الاصطلاحية.

2 . 2 . اصطلاحا :

هويّة الشخص تعني البصمة التي تميّزه عن غيره منذ نعومة أظافره، وينطبق هذا على الجماعة التي ينتمي إليها أيضا، فقد يكون الجنس والعرق واللغة والمعتقد معايير مشتركة فارقة، لذا فالهوية « هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، فتلازمه مكوّنة شخصيته، ومحدّدة معالمه بشكل ثابت، ممّا يمنح إبداعه طابعا خاصّا، فلا يكون مسخا للآخرين، ولهذا يُعدّ شرطا ملازما للفرد، يؤثّر في الجماعة، ويمنحها سمة خاصّة لها، ويصل إلى أنّنا لا نستطيع فصل (الأنا) عن (النحن) لأنّ الهويّة تتحقّق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة»[2].

وجود الأنا والنحن يُحدّد مستويات الهوية فالأولى هي الهوية الذاتية أو الشخصية، وهي مستقلة، والثانية هي الهوية الاجتماعية متموضعة داخل المجتمع، وتجمع هويّات أخرى متعدّدة، والثالثة هي الهويّة القومية التي تتموضع داخل الأمّة الواحدة في مقابل الأمم الأخرى[3]. ومن السمات البارزة للهوية التناقض والصراع لأسباب عدّة ولدت ما يُعرف بتشظي الهوية .

3 . تشظي الهوية :

قد لا تكفي القواسم المشتركة بين الفرد وأصوله لتجعله مؤمنا بهويته الأم، فهناك من يناضل لأجل هويته، وهناك من يرفضها لأسباب عدّة كالشعور بالاغتراب والتهميش،

أو البحث عن ملاذ آمن، إضافة إلى الموروث الاستعماري الرامي إلى ردم هوية الكثير من الشعوب، وأيضا لأنّ العالم أصبح قرية واحدة مُسحت حدودها الواقعية، وأفرزت معايير جديدة تُحدّد معاني الانتماء، لذا أصبح البحث عن الهويّة مفخّخا « فالبحث في الهوية بحث معرفي أمّا البحث عن الهوية فبحث إيديولوجي غالبا، البحث في الهوية بحث صُنع لهذه الهوية ومتابعة لصنعها باستمرار، أمّا البحث عنها فيعني أنّها مُنجزة ولكنّها ضائعة، يجب البحث عنها لاسترادها »[4].

تداخل وتناقض الهويات، والصراع بين الذات وذاتها، أو مع الآخر هي سمات ترسم ملامح الهوية، لذا استقطبت اهتمام الباحثين للتنقيب عن مسببات الأزمة، وبالتالي اقتراح الحلول للحفاظ على الجذور وسط كل ما يحيط بمعنى الانتماء من قنابل موقوتة تهدّد النسب والأصل، وتدعو إلى القلق والخوف من هاجس الاستنساخ والمسخ، وهذا ما قام بمعالجته العديد من الروائيين العرب، ومن بينهم الروائية العراقية (إنعام كجه جي) في روايتها (الحفيدة الأمريكية). وفي هذا الصدد نحاول تجلية صور الصراع الهوياتيالمتظهر في الرواية موضوع الدراسة انطلاقا من عنوانها.

4 . عتبة العنوان

قد يبدو ومن خلال عنوان الرواية (الحفيدة الأمريكية)ولأول وهلة أن الخيار قد حسم لصالح الجنسية الأمريكية من طرف جيل من الأحفاد العرب المهاجرين لترتسم ملامح التشظي ابتداء من العتبة الأولى، غير أن العنوان يفتح مجالا واسعا للقراءة و التأويل، فتكون القراءة الأولى سابقة للنص، نتعامل فيها مع مكونات العنوان "الحفيدة" "الأمريكية" و قراءة تابعة للنص نستضيء بالمتن الروائي لنقف بجلاء على هندسة بناء العنوان، هل هي موافقة لأفق تلقي القارئ؟ أم أنها متجاوزة لهذا الأفق بعملية تمويهية تضليلية؟ أو بصورة ابهامية لا ترتسم ملامحها إلاّ بعد الغوص في عالم هذه الرواية ،وعلى اعتبار أن العنوان عتبة من عتبات النص فإن هذه القراءة تحدد مدى تكثيف الكاتبة لمضمونها الروائي في عنوانها المتشكل من كلمتين:

1الحفيدة :الحفيد هو ابن الابن أو ابن البنت .

2الأمريكيّة: اسم منسوب إلى أمريكي للدلالة على الجنسية.

قد تشير الحفيدة الأمريكية إلى تواطؤ العدو الأمريكي مع الجيل اللاحق، هذا العدو الذي قضى على الأصول وتواصل مع الفروع، فهل هي هندسة التعايش مع العدو، أم تصحيح الخطإ الإجرامي الذي هدم الأصل و أراد أن يتواصل مع الفرع؟ أم هل هي الجريمة الأكبر المتمثلة في اختطاف النسب، بحيث بدل أن تنسب الفتاة إلى عراقيتها نُسبت إلى الجنسية الأمريكية؟

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن كيف أصبحت هذه الحفيدة أمريكية هل بإرادتها؟ أم بإرادة أهلها؟ أم بإرادة المستعمر؟ إذا كانت بإرادتها فهي تعني أن جيلا اختار التعايش مع المستعمر على مقاومته، وفضل مصلحته الخاصة بأنانية على مصلحة الأهل والوطن، فضل الانقطاع عن الماضي والتاريخ للاتصال بالمستقبل الذي يشكل فيه الأمريكي الطرف الأقوى.

إذا كان بإرادة الأهل هل يدل هذا على التواطؤ، وهذه جريمة الأهل في حق الوطن، أو يدل على قرار انتقامي من السلطة العراقية الظالمة، أو يدل على قهر استعماري؟

إذا كانت بإرادة المستعمر فهي قراءة للمشهد المأساوي الذي آل إليه عراق ما بعد الاستعمار، حيث تجاوزت بشاعة الظلم الاستعماري حدود القتل والنهب إلى طمس ملامح الهوية باختراق النسب الذي يعتبر قوام هذه الهوية.

وباستضاءتنا بالمتن الروائي بعد القراءة، نكتشف أن زينة فتاة من أصول عراقية اضطرت عائلتها إلى الفرار من العراق الى أمريكا بعد التعذيب الذي تعرض له والدها المذيع، هناك آلاف العراقيين والعراقيات ممّن هم أو هنّ في مثل حالتها. عراقيون ظنّوا أنّ عيشهم الطويل في أمريكا أو في أوروبا سيؤهلهم لعبور حاجز الضمير. وأسئلته الغامضة والمربكة والجارحة، وهم يشاركون في جريمة تدمير بلدهم الأصلي من أجل الحصول على المال ،المئات من العراقيين (العراقيات أيضا) ممن قدموا مع المحتل وهم يرفعون شعاراته عن الحرية والديمقراطية في حين أنهم في حقيقة ما يفعلون إنما كانوا خدما لذلك المحتل يقبضون أجورا متفقاً عليها سلفا .إذا التواطؤ مشترك كان بإرادة من المحتل الذي حاول طمس الهوية، وساعده بعض أبناء الوطن المهاجرين الذين ضيّعوا في بلاد الغربة المعنى الحقيقي للمواطنة.

5 . تشظي الذات :

"الحفيدة الأمريكية " بطلة الرواية هي زينة أو زنزن كما يحلو للجدة رحمة مناداتها، كانت بحق زينة الحياة الدنيا لجدتها رحمة وجدها يوسف الساعور، فقد ملأت عليهما فراغا كبيرا، ورعياها بسبب عمل والدتها بتول فترعرعت في كنفهما، قضت زينة طفولتها الأولى وبداية المراهقة في العراق، وبسب التعذيب والإذلال الذي لحق والدها اضطرت أسرتها إلى الهجرة لأمريكا، هناك قضت زينة أيام شابها حتى شارفت الثلاثين، تزينت بل تشبعت بقيم أمريكا ومبادئها الديمقراطية المزعومة.

لم تهتم الكاتبة بالشكل الخارجي لزينة فلم تصلنا إلا إشارات ضئيلة عن ملامحها كأسنانها المعوجة التي وصفها صديقها كالفن « بأنها تشبه مقهى شعبيا تشاجر رواده بالكراسي»[5] واسمرارها العربي الواضح أثناء تعريفها بالصورة التذكارية التي جمعت أسرتها قائلة « والشابة السمراء التي تبدوا وكأنهم استعاروها من أسرة أخرى أنا »[6]

بدأت قصة زينة عند سماعها لخبر قلب كيانها، بشرى زفتها ساهرة صديقتها «سبعة وتسعون ألف دولار في السنة ماكل شارب نايم»[7] مقابل الترجمة للجيش الأمريكي في العراق، مبلغ فتح شهية التخيل عند زينة التي وجدت كل الحلول لمشاكل أسرتها، هذا المبلغ وما ينضاف إليه من مخصصات الخطورة يكفي لترحل زينة وأسرتها من حيها البائس، وتشتري سيارة جديدة وتعيش في أرقي الأحياء ، كما يكفي كما تقول زينة « لإرسال أخي يزن الذي صار اسمه جايزن إلى مصحة لعلاج الإدمان وإدخاله بعد ذلك الى الجامعة...وأغسل صدر أمي من سخام كل السجائر الرخيصة التي دخنتها بإفراط وهي تنتحب....كنت المح بلل خديها واعرف أنّ النساء لا يبكين من الهجران فحسب، بل من شحة ما في اليد النقود سعادة أخرى وأنا سأجلب السعادة لوالدتي ...لن أدع الفرصة تفوت »[8]

اعتبرت زينة هذا العمل فرصة مثلى للتخلص من الفقر والهموم ، ودعت هذه الرؤيا بمزاعم تبعيتها لوطنها الجديد الذي احتواها وأسرتها بعدما لفظها الوطن الأم. إذا هي مهمة إنسانية وطنية ، فهي تخدم أمريكا الذي سيعمل على إسقاط نظام صدام وتحرير شعب العراق الذي ذاق المر، وقد ساهم الإعلام في بلورة هذه الفكرة وجودة الإخراج، إذ تقول زينة « مساكين أهل العراق لن يصدقوا أعينهم حين ستنفتح على الحرية حتى الشيخ العجوز سيعود ولدا صغيرا وهو يرشف حليب الديمقراطية ويتذوق

طعم الحياة كما عشتها أنا هنا»[9]، لكن إصرارها للعمل كمترجمة ازداد بسبب تفجير البرجين في نيويورك، فانتقلت أمنيات زينة الصغيرة لإنقاذ أسرتها الى نفير لإنقاذ وطنها الجديد « ماذا في إمكاني أن أقدم لمساعدة بلدي في هذه المحنة؟...لم لكن ممكنا أن أبقي لا مبالية قانعة بالعيش مع أمنياتي الصغيرة وسعال أمي وغيبوبة أخي بعد أن رأيت الحريق أمامي»[10]

حظيت زينة بفرصة العمل في العراق كمترجمة لإتقانها للغتين. ورغم ما حملته شاشة التلفاز من مشاهد فضيعة عن العراق إلّا أنها أصرت على الذهاب إليه متحدية الموت، هناك في العراق دمار فاق ما رأته زينة على شاشات التلفاز، تحولت إلى مجندة تعيش حياة التجنيد الخشنة، لكنها لم تتراجع مدة خمس سنوات تنقلت خلالها بين تكريت، المنطقة الخضراء، والموصل ورأت الموت عدة مرات عرفت مع الدمار معنى الرعب والإرعاب لكنها لم تتراجع.

نلمس أعلى درجات الصراع وتشظي الهوية عن طريق عدة تقنيات منها المونولوج "الذي يعتبر في حد ذاته دليلا على أزمة حوار وانعدام تواصل "[11]، مونولوج تشظي الذات وسرد المعاناة، تطرح زينة من خلاله العديد من التساؤلات منها قولها «ورغم حماستي للحرب أكتشف أنني أتألم ألما من نوع خاص ، غريب يصعب تعريفه، هل أنا منافقة أمريكية بوجهين ؟ أم عراقية في سبات مؤجل مثل الجواسيس النائمين المزروعين في أرض العدو من سنوات ؟ ...لماذا أعجز عن الجلوس في مقعدي لخمس دقائق ؟ أقول للأخرى التي هي أنا . إن هناك أطفالا يفزعون و أبرياء يموتون بلا ذنب في بغداد ...»[12] و تبقى الساردة مستمرة في قلق السؤال.

نجدها قد وظفت بالإضافة إلى تقنية المونولوج-الذي يعبر عن تقاطع المواقف وتناقضها-تقنية ثانية ساهمت في تأجيج الصراع الداخلي، وهي تقنية الاسترجاع، استرجاع ذكريات الماضي السعيدة التي انحفرت في أعماق زينة وظنت أن البعد كفيل بمحوها، لكن هذه الذكريات تقفز إلى السطح بمجرد أن وطئت قدماها أرض العراق. تزاحمت عليها الذكريات وعاودها الحنين ،وظهر اعترافها بالارتباط بهذا البلد منذ نزولها من الطائرة « شممت رائحة العراق وكأن البلد كله تجمع في أنفي وميزت عبقه ونفح هوائه الساخن على الوجوه، وكانت نادية المصرية ترتعش، و رلى تسعل وكأنها ستموت،

ومددت يدي أضرب على ظهرها وكأنني مسؤولة عما يصيبها في بلدي، و رلى ضيفتي راحتها واجبي »[13]

إحساس زينة بالمسؤولية اتجاه الضيفتين يدعم موقفها العراقي، وتبرز شهامة العروبة فيها، لكنها سرعان ما تتراجع بعد هذا الإقرار فتقول: « سأضع لهذا الفلم عنوان "العودة المتأخرة" وفيه تعود البطلة إلى الأرض التي غادرتها قبل خمس عشرة سنة، لا عودة زائرة مشتاقة إلى مسقط رأسها بل جندية إلى أرض قتال »[14]

تتكرر مثل هذه المواقف في الرواية فكلما مرت زينة ببلدة عاشتها إلا و تداعت عليها الأفكار و الذكريات و راحت تبحث عن هويتها بين الماضي و الحاضر.

تأتي تقنية الحلم لتجسد هذا الصراع أيضا، فالأحلام هي حلقة تواصل بين الداخل و الخارج من خلال سفر داخل الذات، تحاول البطلة من خلاله أن تبحث عن الحقيقة. فبعد أن تصل إلى العراق في رحلة شاقة تدفع حقيبتها الكبرى لصق الحائط وتنام نومة مسترجلة و ترى من خلالها حلما عجيبا، تقول: « رأيتني أطرق باب جدي يوسف في شارع الربيع و أنا مرتدية فستان عرس بنفسجي اللون، و لم يكن البنفسجي من ألواني المفضلة، لكن الأحلام لا تترك لنا رفاهية الاختيار، و قد فتح جدي الباب و لم أخف منه رغم علمي و أنا في الحلم بأنه قد مات و سألته :

. متى جئت من السفر ؟

. ردّ : قمت من يومين، أردت أن أحضر عرسك يا سناء. و لم أصحح له اسمي ... لكن جدتي رحمة أطلت من وراء كتفه و قالت :

. هذه زنزن ألم تعرفها ؟ المكرودة تزوجت و أنت غائب ، و ها هي تعود إلينا بعدما ترملت ... يا عيني عليها .

اجتزت باب الحديقة و تقدمت من جدي لكي أقع على يده و أقبلها لكنه سحبها فانسحب جسده بالكامل من المشهد. و في هذه اللحظة نفسها تحول لون فستان عرسي إلى الأسود، و بقيت جامدة في مواجهة جدتي نتبادل الأسى في الحلم .. الفيلم»[15]

استعاد الحلم جد زينة الذي توفي منذ زمن بعيد و كان اللقاء في بيته ، قابلته زينة بثوب زفاف بنفسجي اللون على خلاف العادة ، يغير لها اسمها سناء بدل زينة التي تدل على الهوية الجديدة لزينة ، تصحح الجدة الاسم و يتغير الثوب البنفسجي إلى أسود

للدلالة على مصيبتها . حلم يعكس هواجس زينة في مواجهة الأصول . إحساس بالذنب خالجها و هي تعلم يقينا و مسبقا بموقف الجدة رحمة ، و من خلالها موقف جدها العقيد يوسف الساعور .

تتكرر هواجس زينة في الأحلام و ترى في آخر الرواية أن مهيمن اختطفها ليسلمها لجماعته جيش المهدي. زينة افتقدت الأمان بعد أن اجتثت من حضن جدتها ولفظها وطنها الأم، افتقدت الأمان عندما انفصل والداها في بلاد المهجر فعاشت أسوا الظروف ، فكانت ابنة التناقضات التي تضم بين جنبيها كل صراعات الجبل الجديدة فاختير لها أن تعيش بهوية مزدوجة كما نعتتها طاووس المرأة الجاهلة بنعت يوحي بدلالات عميقة " كلب أبو بيتين " هذه الازدواجية لم تعشها بطلة إنعام لوحدها بل عشناها كقراء فنحن ننقم على زينة تنكرها للوطن ومشاركتها في المداهمات الليلة وارتداءها البزة العسكرية ، لكننا نتعاطف معها حين يصحو ضميرها بدون إرادة منها وتدافع عن عروبتها ووطنها بل عن دين ليس دينها فقد أدانت الجنود الأمريكيين وهم يقلدون مراسم عاشوراء بسخرية واضحة فترد زينة " لا ادري ما دهاني، فالمزحة تبقي في نهاية الأمر مجرد مزحة....لكن ضحكاتهم استفزتني رغم أن الدين لم يكن ديني... تصرفت مثل أي متطرف غيور على العقيدة، تعال ياشون نؤدي تمثيلية المصلين أمام حائط المبكي ،أولئك الذين ينحنون ويعتدلون ثم ينحنون ويعتدلون...مثل اللعب الأوتوماتيكية"[16] ونجد هذه المواقف تتكرر فكلما انحازت زينة بأقوالها وأفعالها لجيش العدو إلا وطفا موقف جريء يغسل أدرانها ويدفعنا إلى التعاطف معها.

التمظهر الثاني لصراع الذات يتجلى مع شخصية نسوية ثانية هي الأم "بتول" التي يشير اسمها لمعاني الطهارة والعفة والتقديس ، أستاذه جامعية تحدت الدنيا من أجل أن تتزوج بالمذيع صباح بهنام وقفت إلى جانبه أثناء سجنه وتعذيبه وتخلت على وظيفتها وسيارتها ووطنها لأجل حمايته، لكننا نتفاجأ بالانفصال في بلاد المهجر. لم تذكر الكاتبة ولا زينة أسباب الانفصال لزواج نتج عن حب وتحد ويظهر ذلك في سؤال الجدة لزينة عن والديها « وين راح الحب الذي تحدت به أمك الدنيا لم أدري ما الحب ولم أكن رغم اقترابي من الثلاثين قد جربت الحب الذي يجعل صاحبة يخالف دنياه لكي يعيشها»[17]

تنقلنا زينة الى بداية حياتهم في المهجر حيث أصيب الأب بأزمة قلبية فاضطرت والدتها للعمل كخياطة ثم مساعدة طباخ ثم نقلوها الى الاستقبال، مرارة الأستاذة الجامعية في أرض المهجر لم يخففها إلا رؤيتها لرئيس قسم الفلسفة السابق في جامعة بغداد يعمل مسؤولا على أرفف الخضار شرح لها الدكتور يعقوب « بفخر شديد كيف ينقذ رؤوس الخس من التلف السريع. يشّذب وريقاتها الخارجية، ويغمّس خناجرها بالماء البارد. وبفضل تلك المهمة استحق تقدير المراقب، ونصف دولار زيادة في الساعة »[18] واقع مبك يعكس مدى الألم والإذلال الذي تعرض له المهاجرون وخاصة المثقفين منهم في كلا البلدين.

بتول التي مثلت بصدق حب الوطن الأم في يوم التجنيس الذي أسعد الكثير من المهاجرين فاعتبروه عيدا وتزينوا له .إلا بتول التي مشت مع المهرولين في تشيع وطن، لذلك كان صوتها النشاز الوحيد بين أفواه تلهج بالنشيد الأمريكي فكانت تولول بالعربية « سامحني يا أبي ....يابا سامحني »[19]

معاناة بتول بهجر الوطن والزوج جعلها مدمنة سجائر، وأدى ذلك الى مرضها بسعال مزمن. فهي لم تلق مقابلا لتضحياتها غربة وهجر وابن مدمن على المخدرات وعمل وضيع ورغم ذلك لم تخن الوطن، ولم تتخل عن أسرتها وبقيت رمزا للأم المضحية.

6 . صراع الذات مع الآخر

بين بداية الحكاية و نهايتها حملت زينة هواجسها بين ضلوعها و كانت تدافع عن أفكارها بكل جرأة ، لذا طفا على السطح نوع آخر صراع خارجي كان أول صراع اتضحت معالمه في بداية الرواية ، هو صراع تقاطع فيه صوت المؤلفة الراوية مع صوت البطلة الراوية بضمير الأنا، حمل معه رؤيتين متناقضتين للعالم و لمعاني الانتماء و العروبة و الوطنية .

تحاول البطلة أن تخرس صوت الضمير المتمثل في المؤلفة تحاول أن تتخلص منها «أزعجتني المؤلفة منذ رأيتها تدور و تناور و تفتعل المواقف لكي تكتب رواية وطنية على حسابي ، تريد هذه الكاتبة الغريبة أن تغتالني لكي تنال إعجاب النقاد الحمقى و سياسيي التلفزيونات و وطني زمن العصملي ... أن تجعل مني الشخصية الشريرة

الملعونة و من جدتي بطلة شجاعة و طيبة، تراني المؤلفة ربية الاحتلال ، و ترى جدتي من نفائس المقاومة .»[20] وبعد أن سخرت زينة من الشعارات التي تؤمن بها المؤلفة قررت أن تغير قناعات الجدة لتقف إلى جانبها ضد المؤلفة « بل إنني سأحرض جدتي رحمة عليها أيضا . إن جدتي رحمة امرأة تتمتع بالحكمة و لا تقع في الفخاخ السهلة ... وبالتأكيد هي لن ترضى أن تضع وطنيتها في عهدة كاتبة مسختها أزمنة الانقلابات الثورية و الأحزاب القومية و جعلت منها بوقا من ورق»[21] تناقض زينة واضح ، فهي من جهة ترفض الشعارات الرنانة و المظاهرات الصاخبة، و من جهة أخرى ترفض أن تتخلى عن تاريخها ، عن إرثها .

يأتي الصوت النسوي الثاني الذي يمثل الآخر ، و يمثل طرف الصراع ، شخصية الجدة لم تكن جدة حقيقية لزينة . مصدر الحب و الذكريات و حسب ، و إنما هي الماضي بمختلف إيديولوجيته القومية و العقائدية و الأخلاقية . فجعت الجدة لما علمت بعمل زينة مع جيش الاحتلال وظيفة جلبت العار لأسرتها الثورية المقاومة ، لكن الجدة رحمة و ما تحمله من قوة شخصية و عناد لم تستسلم لهذا الواقع بل قررت أن تعيد تربية زينة وطنيا ، فوالداها لم يفلحا في ذلك، و تبدأ في إنجاز مهمتها عن طريق التنقيب في ذاكرة زينة عن مواقف تصلها بجذورها ، تكشف زينة هذه الخطة قائلة : « تمسح جدتي بيد راعشة على شعري و كأنها ترجو أن تعيدني تلك الحكايات العائلية، إلى صفها . هذه العجوز لا تتراجع و يبدو أنها تسعى لطبخي على مهل، تغرف من خزان حكايتها و تروي لي ما يسقي شجرة جذوري و يحرك أغصان انتمائي »[22]

محاولات الجدة باءت بالفشل لتتأثر و تموت حسرة. موت الجدة كان الدرس الحقيقي الذي لم تتعلمه زينة في حياتها . ذاقت معنى فقدان الأمومة . فقدان الوطن بفقدان الجدة رحمة .

الشخصية الثالثة التي كان صراعها بارزا مع زينة هي شخصية مهيمن أخوها من الرضاعة. مهيمن الذي عبر في كل لقاء له مع زينة عن كرهه لأمريكا ،و تمسكه ببلده الذي وإن جار عليه يبقى عزيزا ، و حاول بكل ما أوتي من حجج مقنعة أن يغير قناعات زينة سواء أثناء سفرهما للأردن سبب مرض الجدة ، أو عن طريق الإيميل . تخاطبه زينة بضمير الجماعة « جئنا لنقوم بعمل عظيم و هم أفسدوا كل شيء ...سأبقى مترجمة

الاحتلال و لن أكون أختك لا بالحليب و لا بالدم . الدم الذي حفر خنادق بيننا جعلني أقول "" نحن و أنتم " حاولت أن أكون الاثنين فلم أفلح .»[23] يرد عليها مهيمن بشهامة الأخ الأكبر « لست مسؤولة عن الخراب و الأكاذيب ، زينة أنت مثلنا ضحية خدعة أكبر منك »[24]

لم تغير زينة مواقفها رغم حبها لمهيمن و لم تف رسائله المتسامحة و المتفهمة لدوافعها في تحريك قناعاتها فهي عنيدة بالوراثة ، فقرر مهيمن مصادمة زينة و لم ينعتها كما كان " بأختي زينة " ، فقد احتدم الصراع في العراق و فقد الكثير من إخوانه المجاهدين في حرب جائرة. يسألها « هل أعددتم ما يكفي من طائرات لنقل كل العملاء .

. أرجوك .. أنت تؤذيني

. لا بأس قليل من الأذى لا يميت ...

يقرأ مهيمن صوت وجعي ، يقرأني لا يعرف الرحمة .

. لماذا جئتم ؟

. خلصناكم من صدام ...

يقترح مهيمن فكرة أكثر ابتكارا :

طردتم كينغ كونغ من المدينة . وقبضتم ثمنه العراق كله ... »[25] انتهى الحوار بسخرية و بعدها لم تلتق بمهيمن .

بدت زينة المعارضة لجدتها و المؤلفة و لعروبتها و لمهيمن معارضة ليس في سبيل المعارضة بل في سبيل طرح أسئلة عن مفهوم الهوية و القومية المعاصرة في ظل زمن الاتصالات الحديثة و محاولة القبض على دقائق الحالة العراقية الراهنة بكل تفرعاتها.

في خضم الصراعات الداخلية و الخارجية التي عاشتها زينة و فقدانها للجدة استعادت توازنها قررت التوقف عن العمل كمترجمة، و اعترفت بتفوق ذاكرة جدتها وإصرار مؤلفتها و مهيمن، و راحت تردد في آخر سطر من الرواية « شلت يميني إذا نسيتك يا بغداد »[26].

7 . خاتمة :

حاولت الكاتبة " إنعام كجه جي" من خلال روايتها " الحفيدة الأمريكية" أن تقدّم قراءة واعية لرهانات الهويّة العربية انطلاقا من بلدها العراق، وخلصنا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1 . تناولت الرواية قضية تشظّي الهوية عند جيل من المهاجرين الجدد، بعيدا عن نمطية التوصيف في ظل إيمانهم بفكرة المواطن العالمي، المبنية على أساس أنّ العالم كلّه وطن.

2 . جعلت الكاتبة جل بطلات روايتها نساء، وهذه خاصية من خصائص الكتابة النسوية، وقد كثفت حضور الأمهات في متنها الروائي (الأم بتول / الجدّة رحمة / المربية طاووس)اللائي حرصن على إبقاء الحبل السري بين زينة ووطنها، ممّا تولّد عنه صراع زينة مع ذاتها ومع الآخر، إضافة إلى ما تحمله صورة الأمومة من معنى التجذر والانتماء والتضحية، وغالبا ما يجعل الكتاب الأم والوطن شيئا واحدا.

3 . طرحت الكاتبة موضوعا شائكا، تحيط به العديد من المخاطر التي تهدّد الهوية العربية في ظل العالم الرقمي، لذا لا بد أن تتكاثف كل الجهود في مختلف المجالات لإيجاد بدائل حقيقية تتناسب مع متغيرات العصر للحفاظ على الهوية عند الأجيال اللاحقة.

الهوامش :

1 . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، (حرف الهاء) دار صادر بيروت لبنان (د.ط)، 2003، ج 3 ص:

2 . ماجدة حمود : إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2015، ص: 15.

3 . ينظر: عبد الله الغذامي، القبيلة والقبائلية أو هويّات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2011، ص: 38.

4 . محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص: 13.

5 . إنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط01، 2009، ص: 07.

6 . نفسه، ص: 25.

7. نفسه، ص : 14

8. نفسه ، ص: 16

9 . نفسه ص: 06

10 . نفسه، ص: 18.

11. نجيب العوفي : مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، المركز الثقافي العربي،ط 1، 1987، ص: 339.

12 الرواية ، ص : 66.

13نفسه ، ص : 39.

14نفسه ، ص : 39.

15 . نفسه ، ص : 42.

16 . نفسه، ص : 118.

17 نفسه، ص : 76.

18 نفسه، ص : 155.

19 . نفسه، ص:27.

20 . نفسه ، ص : 33.

21 . نفسه ، ص : 34.

22 . نفسه ، ص : 34.

23 . نفسه ، ص : 177.

24 . نفسه ، ص : 177.

25 . نفسه ، ص: 182.

26 . نفسه ، ص : 193.